Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمن المؤكد أن هذه الآيات المبثوثة في الكون كله ، لا ينتفع بها ويقرأ سطورها إلا أهل العقل والعلم والفقه . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران : ١٩٠) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَد فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَد فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام : ٩٧ ، ٩٨) .

وهذا الفقه للآيات فقه دائم متجدد ، بما يكشفه الله لخلقه من مستورات الكون بين حين وآخر ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ (النمل : ٩٣) ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

ثبات السنن وعمومها :

ومن المهم هنا العلم بأن هذا العالم لا يسير جزافًا ، ولا يتحرك اعتباطًا ، بل كل شيء فيه بقدر، وكل حركة فيه وفق قانون ، وهو الذي يسميه القرآن (سنة) ، سواء كانت سنة كونية أم اجتماعية . وأن هذه السنن ثابتة لا تتبدل ولا تتحول ، وأنها تجري على الآخرين كما جرت على الأولين ، وأنها تتعامل مع أهل الإيمان كما تتعامل مع أهل الكفر: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (فاطر: ٤٣) .

في المدينة مات للنبي ﷺ ابنه إبراهيم ، وقد حزن عليه النبي ، ودمعت عيناه ، ولكن لم يقل إلا ما يرضي ربه . وكان من قدر الله أن تنكسف الشمس في هذا اليوم، فقال الناس : انكسفت لموت إبراهيم ، وكان من الشائع لديهم أن الشمس لا تنكسف إلا لموت عظيم .

ولو كان النبي ﷺ من مروجي الباطل ، أو الساكتين عليه ، لسكت على هذا القول الذي يضفي عليه وعلى أسرته هالة من العظمة والقدسية ، ولكنه ارتقى المنبر، وقال : « أيها الناس ! إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته » [1] .

(١) متفق عليه، من حديث المغيرة بن شعبة وغيره . انظر : اللؤلؤ والمرجان الأحاديث (٥٢٧ـ ٥٣٠) .